طه الراوي :

كنت منذ ساعتين فى احتفال للجامعة العربية فلقيت صاحب الفخامة السيد جميل الدفعى فوقفت معه أحدثه ، ورأيت أن نتحدث عن العراق . فبدأت بأحب الذكريات إلى نفسى ، وأقربها إلى قلبى . فقلت : كيف السيد طه الراوى ؟ فأجاب بصوت لا أكاد أسمعه : « لا أقدر على أن أخبرك خبره » وأشار إشارة لم أتبيّنها . فحسبت أنه يعنى ما عرفت من قبل من ضعف بصر الأستاذ الراوى . فقلت : قد لقيته فى القدس منذ ثلاث سنوات وفى دمشق منذ سنتين ، وكان يشكو ضعف بصره . ولكن كيف هو ؟

فقال السيد جميل والأسى يملك عليه صوته : قد مات . وسكتّ وسكت .

وا أسفا ! وا حسرتا على الصديق الحميم ، السيد النبيل العالم الجليل ، الأديب المتبحّر . واحسرتا للخلق الكريم ، والنفس الزكية ، المحبّبة إلى كل من عرفها ، والقريبة إلى كل من سمع عنها .

والله ما ذُكر فى مجلس من معارفه إلا اجتمعت القلوب على حبه ، والألسن على مدحه ، وما ذكرته عند من يعرفه فى مصر والشام بله العراق إلا كان الجواب ثناء عليه ، وإعجاباً بعلمه وأدبه ، وإكباراً لخلقه .

عرفت الأستاذ الكريم — أوسع الله له فى رحمته ، وأجزل لآله وإخوانه وتلاميذه الصبر والعزاء — منذ عشر سنين ولقيته فى بغداد ، والقاهرة ، والقدس ، وفى مدائن من سورية ولبنان ، وراسلته على البعد ، وجالسته طويلا ، وتحادثنا فى العلم والأدب والسياسة والاجتماع والأخلاق وفى أمور شتّى . فما عرفته إلا ذكياً عالماً أديباً فاضلا ، لا يتكلم فى موضوع إلا أفاض فيه إفاضة المحيط بأطرافه ، المتمكن منه ، المتثبّت فيه ، وكم قلت فى حضوره وغيبته اعترافاً بالحق : « ما يجلس أحد إلى الأستاذ طه إلا استفاد من فلسفته » وأشهد أنى ما حضرت مجلساً له فى داره أو فى غير داره ؛ إلا فرحت بمجلسه ، وأنست به ، وأصغيت إلى حديثه وهو يصرّف الكلام فى شجونه ، وينقّل الحديث فى معارفه الواسعة ، وتجاربه الجمّة .

وكنت أصغى إليه ، وأعجب به فيما أوافقه فيه وما أخالفه . وندر أن خالفته ، وما أذكر أنى جادلته أو ماريته قط . بل كنا نلتقى التقاء صديقين تقاربت قلوبهما وعقولها ، ومعارفهما ، وعواطفهما ، وآراؤهما .

وما لقيته أو كتبت إليه ، أو حمّلت أحداً إليه رسالة ، أو بُلّغت عنه قولا أو خبراً إلا فرحت وهششت ، والتمست السرور فى ذكراه ، وحاولت أن أسرّه بكلمة من الجدّ أو المزاح يسمعها أو يُبلّغها .

وقلّ أن صادفت أحداً فوثقت به ، وسكنت إليه ، وأنست به حاضراً ، وبذكره غائباً كالصديق الكريم العزيز المفتقَد السيد طه الراوى .

وقد أردت هذا العام أن أحقق مقصد الجامعة العربية فى تزاور الأساتذة فى البلاد العربية ، وفكرت فى أن أدعو بعض أدباء العراق والشام لزيارة جامعتنا ، والمحاضرة فيها . فكان الأستاذ الراوى أول من ذكرته وأول من ذكره لى من استشرته فى الشام ومصر .

وما قدّرت أن الموت يسبقنا إليه ، ويستأثر به ، ويحرمنا منه ويصيبنا فيه .

أى خسارة للأدب ! وأى رزء للأخوة ، وأية حسرة للصداقة ، وأى مصيبة للخلق الكريم .

أى نعى فادح ، ونبأ قاصم ، نعى السيد الراوى إلى أصدقائه وإخوانه وتلاميذه ومعارفه .

ياصديقى العزيز لك رحمة الله ، ولإخوانك اللوعة والحسرة ، والأسى والحنين والافتقاد والبكاء عليك ؛ ثم لهم الصبر والتأسّى .

يا صديقى النبيل ! هذه كلمة يدفعها الحزن ويصدّها ، ويمدّها الأسى ويقبضها ، وتطيلها اللوعة وتقصرها . فى النفس معان تستعصى على اللفظ ، وعلى اللسان ألفاظ ينوء بها القلم ، وفى القلم اضطراب لا يُقِرّه واقفاً ، ولا يتركه سائراً . فليجف المداد ، ولتسل الدموع يا صديقى .

وقفت الحيرة بقلمى هنا . فرحمك الله . رحمك الله .

عبد الوهاب عزام

حماتي تحبني :

سألت (الاثنان) الغراء الأديب الكبير الأستاذ أحمد راسم الشاعر الناثر المشهور عن هذا المثل (حماتي تحبني) ، وقد روته تلك الصحيفة (حماتك تحبك) فأملى على الأستاذ أديبه المستنبط في أصله ومعناه ما أملاه ، وفي الجواب تفنن وبراعة ، وقد يضيف سهم الرامي . والذي نراه أن أصل المثل لا يدريه إلا أهل القرن الذي نجم فيه ، وهو القرن السابع حسب الظن . وأما معناه فقد أظهره العلامة الخفاجي في كتابه (شفاء الغليل) قال :

(حماتي تحبني) هو من أمثال العامة ، يقوله من صادف نعمة لم تكن على خاطره ، قال ابن نباتة مورياً :

كلما عجت في حما ة على خير موطن
أجد الأكل والندى فحماتي تحبني

قلت : صاحب هذين البيتين هو (المصري) لا (السعدي) معاصر (المتنبي) وتون نباتة عند ناسبي الشاعر إلى جده القديم (عبد الرحمن بن نباتة) صاحب الخطب المشهورة — مضمومة ، أو الضم في هذا العلم أكثر وأثبت كما قال (المجد) وعند ناسبي (جمال الدين) إلى ما ذكره شيخ صاحب (التاج) مفتوحة ، وهذا قوله كما روى شارح (القاموس) :

قال شيخنا : وأما الجمال محمد بن نباتة المصري الشاعر فانه بالفتح كما جزم به أئمة من شيوخنا لأنه كان يورى في شعره بالقطر النباتي ، وهو بالفتح لأنه نسبة للنبات ، وهو نوع من السكر العجيب ، يعمل منه قطع كالبلور شديد البياض والصقالة ، والظاهر أنه فارسي حادث ، وكان أولى بالمصنف — يعني صاحب القاموس — أن ينبه عليه ولكنه أغفله .

قلت : الضم خير مع حلاوة هذا القول[1]...

السرمي

طيرناناز :

نقل الأستاذ شكري محمود أحمد في العدد ٦٨٣ من «الرسالة» النيرة تعليقاً على نقل الباحث الفهامة محمد إسعاف النشاشيبي المنشورة في العدد ٦٧٨ من «الرسالة» الغراء : أن الخبر المنسوب إلى محمد بن مسروق في هذه النقل النشاشيبية هو من أخبار الحسن بن هانيء . كما رواه ابن منظور في الصفحة ٢٠٢ ، ٢٠٣ وإن الإسم في البيت الأول هو «طيزناباذ» وليس «بطور سيناء» ثم نقل في الحاشية عن كتاب مسالك الأبصار. أن هذا الإسم: «هو موضع بين الكوفة والقادسية على حافة الطريق على جادة الحاج. الخ»

والذي أروم عرضه على الأستاذ — وعلى غيره من جهابذة «الرسالة» — هو رواية ثالثة لهذا الإسم تختلف عن «طورسيناء» و « طيزناباذ» ... فقد ذكر أحمد بن محمد بن عبد ربه صاحب العقد الفريد المتوفى ٣٢٨ هـ في الجزء الرابع من عقده الثمين « الطبعة الأولى ١٩١٣ المطبعة الأزهرية بالقاهرة » — عند كلامه على ضروب العروض شعراً — ذكر أبياتاً ذالية ؛ يظهر من فحواها أن هذا الإسم يدعى « طيرتاناذ » — بالراء المهملة والتاء المثناة بعدها الألف ثم النون يليها الألف أيضاً — وأنه محلة من محلات اللهو والشرب والأنس . أنظر قوله :

أذكرتني طيرتاناذ فقرى الكرخ ببغداذ
فهوة ليست ببارقةٍ لا ولا تبع ولا ذاذى[1]

أفيكون أن « طيرتاناذ » هذه هي محلة من محلات بغداد أم هي طور سيناء ابن مسروق أو طيزناباذ ابن منظور ؟ ولكن حروف المطابع حولتها من طيرتاناذ — إلى طيزناباذ — إلى طور سيناء ؟ كما حولت غيرها من الأسماء والألفاظ ، والمحلات والكلمات ؛ فعملت بها تصحيفاً وتحريفاً وغيرت مواضع الحروف تأخيراً وتقديماً .

وإني لأرى في لفظ الإسم على رواية ابن منظور وصاحب مسالك الأبصار بعض النبو والسماجة ، وأن الصحيح هو صاحبنا ابن عبد ربه ، وخصوصاً في لفظ المقطع الأول ، ولو أنها كانت في عصر ابن هانيء ، ذلك العصر الذي لاءم بين عفاف العرب ، وحشمة الإسلام من جهة ، وخلاعة الترك ومجون الفرس من الجهة الثانية ؛ وإن هذا الاختلاط لا بد وأن يكون مدعاة لكل بدعة في السلوك الأخلاق ولو بالأسماء والكنى . فأرجو من الأستاذ — وغيره من أدباء العصر أن لا يضنوا علينا بطرائفهم الأدبية وأخبار مصادرهم العلمية في تحقيق أمثال هذه الأسماء ، وتعيين مواضعها — وله مني أجمل الثناء ، وأفضل التحيات .

(العراق — القرنة) حسين السيد محمد الجابري

(١) من الكتاب من يقول في مثل هذا التعبير : (رغماً عن حلاوة هذا القول) وانظر إلى الرغم — وأصله معروف — في هذا المقام كيف يكون ؟ إنا لله وإنا إليه راجعون !

(١) ص ٨٣ من العقد الفريد . الجزء الرابع . الطبعة المذكورة .

في الأدب التحليلي :

في صيف سنة ١٩٢١ م خرج جبران خليل جبران ونسيب عريضة وميخائيل نعيمة وعبد المسيح حداد ، وهم من أدباء المهجر المشهورين كي يتمتعوا بمناظر الطبيعة والخلاء في مزرعة « كاهرنزي » بأمريكا ، ولما دنا المساء وغابت الشمس ، أخذوا يسيرون الهوينى على الطريق العامة ، وهم في حديث متواصل ، وبينما هم كذلك إذ خطر لميخائيل نعيمه هذا البيت :

أسمعيني سكينة الليل لحناً من نشيد السكينة الأبديه

فألقاه على مسامع رفاقه الثلاثة ، فوقع من نفسهم موقعاً حسناً ، وجعل كل واحد يُتبعه ببيت أو بنصف بيت ، والآخر يزيد على ما قال سابقه ، حتى نتج عن ذلك الأبيات التالية :

أسمعيني سكينة الليل لحناً من نشيد السكينة الأبديه
وافتحي يا نجوم عينيّ علّي أن أرى بينك الطريق الخفيه
واحملي يا رياح منك بساطاً واحمليني إلى الرياض العليه
واخطفي يا نسائم الليل روحي وخذيها مني إليك هديه
ودعيني هناك أسرح حراً إنما العبد يشتهي الحريه
طال سجني وطال في الأسر يأسي واحتمالي لحالتي البشريه
أنا مالي والورى ، فارفعيني ودعيهم في بؤسهم والرزيه
ملّ قلبي بغضاءهم ، وهواهم ملّ قلبي سبابهم والتحيه
ولساني قد صار يخشى لساني وجناني أضحى عليّ بليه
يُفراشي شوكا ، ونومي ارتماشاً ويقيني شكا ، وبرى خطيه
وشرابي تململا وأواما وطعامي مجاعة روحيه
وليأسي رماد فكري تذريه رياح تثيرها الأمنيه
تلك حالي . حرب عوان ، فإن أظفر فنفسي قتيلة أو سبية !

والقصيدة على صغرها زاخرة بالمعاني حافلة بالآراء الفلسفية والفكرية . وإنا لنتساءل : أتصور هذه القصيدة نفسية واحدة ، وتنبئ عن ذهن فرد من أفراد منشئيها ، فنقول إن أفكار ذلك الفرد كانت ساعة الإنشاء للقصيدة قوية وذهنه متوقداً ، فاستطاع أن يفرض شخصيته وطريقة تفكيره على زملائه ، فقلدوه وتابعوه في هذه الساعة ، أم أن الرفاق الأربعة وهم من مشهوري الأدباء قد اتفقت آراؤهم وأحاسيسهم ، فهم كالشخص الواحد ، كما يحدث كثيراً في مثل هذه اللحظات التي يتجرد فيها الإنسان من أثقال الحياة ويتعبد في محاريب الطبيعة والجمال الإلهي الخالد . فالقصيدة حينئذ تعبر في مجموعها عن رأيهم جميعاً ؛ أم أن القصيدة ليست ذات وحدة مطردة وطابع خاص شامل ؛ بل إن فيها أشتاتاً من الآراء والأفكار ، ولكل واحد من الرفاق بعض هذه الأفكار ؛ وفي استطاعة أدباء التحليل ودراسة الشخصيات والآثار الأدبية أن يعرفوا وسائلهم الفنية أن هذا البيت لهذا الرفيق ، وذاك لذاك ، وذلك لذلك ، وهكذا ؟ ! ...

لا يستطيع أن يتحدث بجدارة في هذا المجال إلا من درس هذه الشخصيات الأربع المشهورة ، ووقف على آثارها الفكرية وقفة الدارس البصير ؛ وأظن لو أن أحد هؤلاء الخبراء قام بتحليل هذه القصيدة وتشريحها وذكر مجهود كل من الأشخاص الأربعة فيها ، مستعيناً في ذلك بأصول البحث الأدبي المشهورة ، وإيراد الدلائل الكافية لنعمنا بطرفة تحليلية رائعة ! . .

أحمد الشرباصي

رجاء وشكوى :

مما يلاحظ — مع الأسف الشديد — أن بعض الأساتذة الكتاب يبدأون في نشر مقالات ممتعة ذات فصول، ثم يتركون الموضوع بدون أن يتم بعد كتابة فصل أو أكثر ، وإنا لنذكر بعض هؤلاء رجاء أن يتداركوا الأمر ويعلموا أن من حق القارىء أن يقرأ الموضوع كاملا ... فمنهم الأستاذ فخري قسطندي في مقاله « حول الاتباعية والابتداعية » آخر ما نشر منه في العدد ٦٨٩

والأستاذ محمد رجب البيومي في مقاله « من أخلاق البحتري » كتب البحث الأول في العدد ٦٩٠ ثم انقطع البحث بعد ذلك .

والأستاذ محمد سليم الرشدان في مقاله « الأدب في فلسطين » آخر ما كتب منه في العدد ٦٨٩ .

وبرغم أن هذا العدد رقم ٦٩٦ — أي أن حوالي شهر ونصف أو يزيد قد مضى على بعض المقالات ولم تتم بعد فصولها .

وإنا لنرجو من أصحاب هذه المقالات مراعاة حق القراء وإتمام فصولهم بدون مباعدة بينها

(المنصورة) ليلى عبد السلام
المدرسة